والـــدي الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

«ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء ولكن لا تشعرون * ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصباتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» ..

وهكذا مضيت ياوالدي بعد أن خلّفت وراءك قلوبا دامية وعيونا باكية .. مضيت وخلّفت وراءك أجيالا في أشد الحاجة إليك .. مضيت وخلّفت وراءك فراغا لا يسد ، فمن لنا بعدك يا أبتي ؟ من للجهاد بعدك ؟ من للمسلمين بعدك ؟ من يطوف الأرض شرقا وغربا بعدك يا أبتي ؟ من يزلزل الأرض تحت أقدام المشركين بعدك ؟ من للمنابر والمساجد بعدك ؟ لقد مضيت ونحن أحوج إليك من الطعام والشراب .. مضيت يامن كنت تحرض والناس يثبطون .. يامن كنت في الجهاد والناس قاعدون ..

لقد ملك عليك حب الجهاد حياتك . لقد بعت نفسك ومالك وأهلك في سبيل الله . كان الجهاد هو حديثك الدائم وشغلك الشاغل حتى وأنت بيننا كنت لا تتفوه ببنت شفة إلا والجهاد يتصدر أول الحديث ، لقد كنت دائما تسير رافع الرأس وأنت تواجه الصعاب في سبيل الله كنت دائما تتغنى بأبيات ابن المابرك في شغف :

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك بالعبـــادة تلعب
من كان يخضب خدّه بدموعه
فنحورنا بدمائنـــا تتخضب

هكذا كنت ياوالدي لا تشعر بالهناء ولا الاطمئنان إلاّ وأنت في حياة الجهاد وفي أرض الجهاد .

إن كنت أنسى فلا أنسَ كلماتك لنا ونحن في السعودية أو في الأردن لإتمام بعض الأعمال الضرورية لك ولنا وأنت تصر أن لا تتعدى المدة التي سنقضيها عن شهر بل كنت في أغلب الأحيان تنهي عملك وترجع قبلنا بأسابيع وأشهد أنك كنت كالذي يقبض على الجمر حتى أننا سألناك ذات مرة لماذا أنت غضبان فنحن عهدناك دائما مبتسما مسامحا ؟ فيقول سامحوني يا أولادي فهواء هذه البلاد لا يوافقني إن الدنيا والانشغال بها يقبض صدري وأنواع الأطعمة وأشكالها تزكم أنفي . أنا لايوافقني إلا هواء بيشاور .

هكذا .. كنت لا تشعر بالراحة إلا تحت أزيز الطائرات وغبار المعارك حتى قبل أن تحضر إلى بيشاور . منذ أن درجنا على هذه الأرض وأنت منشغل عنا في أمور المسلمين كنت تعطي جميع وقتك لتربية الشباب التربية الإسلامية الصحيحة ، تربيهم على حب الجهاد والاستشهاد ، وكنت لا تسمع عن بقعة فيها جهاد إلا وطرت فرحا بخير تلك البقعة وأهلها . فيوم أن تفجرت الثورة الإسلامية في إيران كنت تتبع أخبار الجهاد هناك وأنت في نشوة لا يعلمها إلا الله ، كنت لا تعلم عن تحزبهم للشيعة . وعندما علمت بذلك شعرت بالأسى وأنت تقول لا حول ولا قوة إلا بالله .

ماذا أقول ياوالدي ؟ وعن أي شيء أكتب ؟ إنك رغم وجودك القليل بيننا وقلة جلوسك معنا إلا أنك علمتنا الكثير والكثير . كانت كلّ لحظة تقضيها معنا عبارة عن درس أو نصيحة أو عبرة ، حتى وأنت صامت كنا نتعلم منك الكثير . كنت دائما تحضنا على الزهد وعلى قراءة القرآن وصوم النوافل ومعاملة الناس معاملة حسنة والابتعاد عن المعاصي كالغيبة والنميمة . كنت دائما تحب أن نترفع عن الدنيا .

أبتاه عن أي شيء أكتب عنك ؟ أأكتب عن زهدك ؟ عن كرمك ؟ عن إخلاصك ؟ عن معاملتك الحسنة للناس ؟ عن عبادتك ؟ عن طاعتك لربك ؟ إنني مهما كتبت فلن أكتب إلا القليل القليل عن صفاتك فأنت ياوالدي كالقمة السامقة التي لا يرتقي إليها إلاّ من وفقّه الله وأخذ بيده . كنت لا تدع عملا فيه حب لله ورضاه إلا وسلكته فكنت المنارة التي تستنير بها الأجيال وتسير على خطاها . لقد سطّرت التاريخ بدمك . ورسمت للشباب الحياة الكريمة التي يعيشها المسلم ، وهو رافع الرأس والموت الكريم الذي يرتقي به إلى أعلى الجنان .

وإن غبت عنا بجسدك فأنت بروحك وعملك موجود بيننا .. إننا إن شاء الله لن نفرط في مبادئك وأهدافك . وسوف نمضي على نفس الطريق التي رسمتها لنا بدمك ولن نفرط في كلمة نطقتها بدمك ، ولن تثنينا شهادتك وفقدك عن تحقيق مرادك . إننا لن نضعف أمام الكفر ولن نستكين ، فهذه حياة المسلم وكما كنت تقول أموت لتحيا أمتي وها أنت قضيت وإن شاء الله أمتك لن تموت ولن يزيدها المصاب إلاّ توقدا وثورة .

وســتعلم زمرة الكفــر أنـا
نزيد توقــدا رغم المصــاب
فإن لف الثرى جسدا طهورا
فذكرك في القلوب بلا غياب
سترفع راية الإســـلام أيد
موضــأةً مطهّــرة الثيــاب

فهذه الأجيال التي ربيتها لن تهدأ وسترفع إن شاء الله راية لا إله إلا الله خفّاقة عالية ولن نُخذل إن شاء الله بعدك فنم قرير العين هادىء البال في قبرك - ياحبيبنا - فلن يضيرك إن شاء الله مكروه بعد اليوم وإن شاء الله لن تقوم للكفر قائمة .

رحمك الله ياوالدي رحمة واسعة ، نشهد أنك قلت فصدقت وأنك تفانيت في نصرة الجهاد الإسلامي .. ونشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت لله ، فجزاك الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء ، فهذا حال الدنيا «كلّ من عليها فان» ولكنك إن شاء الله حي في الجنة ترزق ونعاهدك أننا سنصبر حتى يعجز الصبر ، فبرغم المصاب إلا أننا فرحون بك وذلك لأن الله بلغك أمنيتك بالشهادة في سبيله فلا نامت أعين الجبناء .

ألا إنها الدنيــا ممرٌ ومعــبرُ
بذاك قضى البـاري وتم المقدّرُ
مضيت وما للمــرء من أمر ربـه
مفرٌ وأمـر اللــه للخلق يقهــرُ
تركت مكانــا لا يســد فراغـه
وجسراً عليه الجبال الشـم تُعبرُ
يبكيك سبع الليل وما جمعةٌ دنت
ويبكيك محـرابٌ ويرتج منــبرُ
تبكيك أعداد الجهــاد بحرقــة
وياالأســاها حينمــا تتذكــرُ

فهكذا قضيت شهيدا أنت وفلذات كبدك لتكون نبراسا تهتدي به الأجيال ودرسا لا تمل سماعه الآذان «فصبر جميل والله المستعان» ولا نقول إلا ما يرضي ربنا . إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا على فراقك يا أبتاه لمحزونون ولا حول ولا قوة إلا بالله . اللهم لا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره واغفر لنا وله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أم الحسن عبدالله عزام